

# باب التربية والتعليم

## التعليم الديني

لا نعرف بلداً إسلاميةً أثر فيها التفرنج كما أثر في مصر وأغرب مظاهر هذا الأثر ما جرى منذ أشهر من الخلاف بين المسلمين في تعليم الدين بالمدارس بل وفي فائدة تعليم الدين وعدم فائدته وامكان الاستغناء عن الدين في تهذيب الاخلاق وتربية النفوس

فتحت باب البحث في ذلك الجرائد وتبعها الناس كما دهمهم فن قائل ان موضع تعليم الدين البيوت لا المدارس وانه ينبغي للحكومة ان تبطل تعليم الدين من مدارسها ومن قائل ان ما يعلم في هذه المدارس كاف لاجابة الحاجة الى الزيادة عليه ، ويقابل هذا القول طلب اعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية زيادة التوسع في تعليم الدين بهذه المدارس . ووراء هذه الاقوال والآراء ما كتبه بعض الناظرين في آراء فلاسفة أوروبا ونشر في جريدة المؤيد من بيان وجه الحاجة الى تعليم الدين وبيان الاستغناء عنه ومن قال بذلك من علماء العرب ومما يتشدد به المقلدون لأصحاب الآراء الفلسفية الناقصة قولهم انه يمكن الاستغناء عن الدين بالتربية الادبية العقلية المبنية على الاقناع بضرر الرذائل ونفع الفضائل كأن يقول المعلم للتلميذ ان الكذب قبيح ومقترفه محقر بين الناس لا يرثق بقوله ولا يعتد بشهادته ولا يفخره وأن الخمر ضارة تذهب بالصحة والمال . ومن هؤلاء من يرى ان هذه الطريقة أفضل من طريقة الدين المبنية على التخويف من عذاب الآخرة لان في هذا التخويف من اضعاف النفس وإيقاعها في الاوهام مافيه على زعمهم

ومن أهل الدين الراسخ من سرى له شيء من اوهام المتفلسفة فصار يرى ان تعليم الدين والتربية عليه في الصف ضرار ولكنه يجب بعد بلوغ العقل أشده لان الدين عبارة عن فلسفة روحية والمبتدئ ليس أهلاً لتلقي الفلسفة . . .

قد استعجل متفرنجو المسلمين جداً في جعل مسألة التعليم الديني محل بحث ونظر واستعجل المتفلسفة منهم في الحكم بأن الاقناع العقلي كاف في تهذيب الناشئين ومعنى عن الأخذ بالدين أو خير منه فإن أمتهم من غلاة الملاحدة في أوروبا لم يظفروا باقناع شعب من شعوبهم برأيهم هذا ولا يزال جميع الأوربيين يقيمون بناء التربية والتعليم على أساس الدين على أن حاجتهم اليه دون حاجتنا لوجوه منها انتشار التعليم الأدبي والاقناعي في جميع طبقاتهم حتى ان بعض بلادهم لا يوجد فيها أمي ولا أمية ونحن عاجزون عن تصميم التعليم بدين أو بغير دين فهل من الصواب ان نجعل المعلمين منا على قلتهم غير متدينين وهم القدوة لسائر الأمة ؟ أم الصواب ان يسمى هؤلاء النفر من المتفلسفة الى محور الدين من الأمة برمتها متعلمها وأميها ؟ وهل يظنون ان جميع أفراد الأمة يكونون حينئذ فلاسفة أو متفلسفين مثلهم يتركون الشرور لقيام الدليل العقلي على ضررها أو مناقها للشرف ؟؟

قلنا نجد أحداً من أصحاب هذا الرأي العقيم تاركاً للماضي والشرور لأنها ضارة بالمجتمع أو مخرجة بالشرف ومن ترك ذلك ظاهراً لا يتركه باطناً الامن تربى منهم تربية دينية حقيقية طبعت في نفسه ملكات الفضائل طبعاً عجزت عن محوه نزعاً الفسفة الناقصة

يمكن ان يجمع لناشيء بين الاقناع والدين بأن يبين له ضرر الرذائل والمعاصي في سياق حكمة تحريمها وبيان محاسن الفضائل ومدى نعمها في سياق حكمة إيجابها أو استحبابها والا تفسر الاقناع أو تعذر لاختلاف الافهام في حقيقة الشرف والخير والشر والنفع والضرر . فاذا قلت لناشيء ان الزنا قبيح أو مخجل بالشرف لا يمنعه ذلك ان افصحه بأن يأتيه سرا الآن أمر الشرف منوط بنظر الناظرين وعرفهم واذا قلت له انه خطر على الصحة لأنه مدعاة للإسراف أو مجلبة لبعض الأبداء لم يكن لقولك من التأثير ان أخذ بالتسليم الا العزم على الاقتصاد فيه والحذر من غشيان المصابات بالأبداء ويظن ان ذلك مما يسهل عليه وربما وجد من الناصحين من يقول له ان ترك ذلك العمل ضاراً بالصحة فكانت نصيحته أقرب الى القبول من نصيحتك . واذا قلت له ان هذه الفاحشة غوائل اجتماعية كاختلاط الانساب

وقلة النقل وإثارة الشرور بين المتنازعين فيها عند المشاركة : فلا تطمع منه ان عقل قولك بأن يترك لذته اثارة حياً بالمصلحة العامة . ولكن أكثر الذين يتربون تربية دينية صحيحة ، لا يستحلون الفاحشة ويستهيون بها كما يفعل من فقدوا ذلك ، وانك لتجد في كل بلد يدين أهله بجمرة هذه الفاحشة كثيرين يتقونها خوفاً من الله عز وجل على ضعف العلم بالدين وعدم التربية عليه ، ولولا الخرافات التي زلزلت العقائد وشوهت وجه الاحكام كالاتحاد على الكفارات والشفاعات والفران لكان وقوع هذه الفاحشة من المتدينين من النوادر

وقل مثل ذلك في الخرفان المتعلمين على الطريقة التي يطلبها المنفردون والمتفلسفون اعرف من غيرهم بما فيها من الضرر وهم مع ذلك أكثر شرأ لها من سواهم . وأضف الى ذلك جريمة القمار ، وما فيها من المضار ، على ان المنفردون والمتفلسفين منا لا يحرمون بعقولهم هذه الموبقات الثلاث التي يجاهدونها فلاسفة أوربا بعقولهم وعلومهم أشد الجهاد ويهدونها شر غوائل المدنية الأوربية وهي لا تزداد بالرغم منهم الا انتشاراً

ان الجميع متفقون على قبح الكذب وضرره وانهم لا عجز عن اقناع الناشئين بتركه مهما قويت حججهم من اضعف مرشد ديني وان لم يأت بحجة أو حكمة وراء النص وقصارى ما يلائم قلوبهم من نفس من يقبله ان يحترس من الفضيحة بالكذب الحلي لأن يتركه مطلقاً

أما زعم المتفلسفين أن تربية الدين قد تضر بالعقل أو النفس بما فيها من من الارهاب والتخوف فهو زعم باطل لا يقوله الا من يجهل الدين والناس ، وسنبين ذلك في فرصة أخرى

وأما القول بان الدين فلسفة لا ينبغي أن يتلقاه الا المتعلم المستعد لتلقي العلوم العالية فله وجه وفيه قصور فان الدين له طرفان أدنى وهو الهداية العامة لكل مكلف وان أمياً جاهلاً ، وطرف أعلى وهو كما قيل حكمة وفلسفة . والصواب أن يعلم التلاميذ في المدرسة الابتدائية ما يلبق به من الطرف الاول ويترقى به تدريجاً - يعلم في السنين الأولى مع القراءة بالحكايات عن الاشياء ان الله تعالى هو الذي اعطى

كل شيء خلقه ثم هدى فاذا كان موضوع درسه في النحل مثلا يذكر له بعد شرح ما يليق بفهمه من حالها وأعمالها ان الله تعالى هو الذي خلقها وألهها أن تعمل لحفظ حياتها هذه الأعمال ويترقى به في ذلك . ويعلم مع الآهيات على هذا النحو شيئاً وجيزاً من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وآدابه ويذكر له أن الله تعالى مميّزه هو وأمثاله من الانبياء بعلم خاص بهم دون سائر الناس يهدون به الناس الى الحق والخير كما ميز النحل بعلم خاص بها لا يشاركها فيه غيرها واما العبادات فيجب أن يتعلمها الناشئون بالعمل لا بالقول وكذلك العامة اتباعاً لسنة السنة « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخاري وأما تعليم المبتدئين فلسفة السنوي وأمثاله في الآهيات كالصفات العشرية ، فهو من العبث الذي يعدّ جناية على الدين ، من ينتقده فإني معه أول المنتقدين ، والله على ذلك من الشاهدين ،

سألت أحد الفضلاء المستسكين بالدين عن لدله لعله في التابئة عشرة أصلي فقال لا أدعه يصلي الآن لانه لا يعقل معنى الصلاة فاذا بلغ السن التي يفهم فيها معنى الصلاة فإنه يصلي .

هذا الوالد الذي يرى هذا الرأي من ابناء كبار الباشوات وقد تعلم في أوروبا وتقلد بعض الاعمال العالية في الحكومة وهو يفهم من معنى الصلاة مالا يفهم اكثر أهل الازهر لأنه قرأ الاحياء قراءة استهزاء ويقل فيهم من قرأه ، وكثير من مدرسيهم لا يعرف عدد اجزائه ولا رأى منها شيئاً وهو علم ما نفتقد غير مصيب . ولمصري انه ينبغي لمن يرى رأياً يخالف ما درجت عليه أمته أن لا يتعجل العمل به بل يبحث ويستشير وينظر من يعلم أو يظن أنهم أهل فبحث في ذلك لعله يرجع عن رأيه أو يعضي فيه على بينة تامة ولا يعتد في هذا المقام بتجربة الواحد والآحاد

نقول في الصلاة ما قلنا في الدين بجملة ان لها طرفاً أدنى وطرفاً أعلى ومن فوائد حمل الناشئ المميز على الصلاة تمويده الطهارة والوضوء ومنها توليد الشعور الاجمالي بالعبادة في قلبه وهذا شيء عرفناه بنفسنا ورأينا أثره في غيرنا ممن تربوا

تربية دينية فلا يصح لمن لم يدقه أن ينكره، ومنها تعويده المحافظة على المكتوبات في أوقاتها فإن كل عمل يؤدي بنظام في أوقات معينة يحتاج فيه إلى التعويد في الصغر فقلما يحافظ الإنسان على عمل منتظم لم يعود به وإن هو اعتقد نفسه في الكبر فأنا اعتقد أن الرياضة البدنية من الضروريات لدى الأعمال العقلية مثلي واستثقت عزمي للارتياض كل يوم فلا توافقي إلا في بعض الأيام والتي اعاتب نفسي منذ سنين على هذا الإهمال والتقصير ولو لم أكن مواظبا على الصلاة من الصغر لما بعدت أن أنرك بعض أوقاتها تكاسلا أو تأولا

ومن فوائد المواظبة على الصلاة قبل البلوغ أن المواظب عليها لا يقع بعد البلوغ في مهلكة الشبان التي يعبر عنها كتاب المصير بالمادة المضرة وناهيك بشروورها ومضارها وإذا هو اجترحها لا يفرط فيها فإن لم يتركها لأنها محرمة امتنع من الاسراف فيها استنشالا لتكرار الفسل وهذا ضرب من ضروب تهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر والناس عنه غافلون

### ﴿ تعليم الدين في المدارس المصرية ﴾

بحث قوم في تعلم الدين بمدارس الحكومة، فمنهم من قال يوجب الزيادة فيه، ومنهم من قال إن ما فيها كاف، ومنهم من قال أنه لا ينبغي أن يعلم الدين في المدارس وإنما موضع تعليمه البيوت وهم يعلمون أن تعليم البيوت منوط بالنساء وإن النساء المصريات لسن على شيء من علم الدين ولا من علم الدنيا الذي يؤخذ بالتلقين، وقد رددت الجرائد هذه الأقوال ولم أرفها قرأته فيها يانا صحيحا لما يجب أن يكون عليه هذا التعليم في هذه المدارس ولا في غيرها. وقد طلبت الجمعية العمومية من الحكومة التوسع في تعليم الدين بمدارسها ففرت نظارة المعارف زيادة دروسه في المدارس الابتدائية فابتعدت ذلك الجرائد التي لا يرضيها من الحكومة شيء، ولم تبين ما هو الصواب. وعندنا أنه يجب أن يكون معظم هذه الدروس في سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم في سيرة الخلفاء الراشدين إن اتسع لها الوقت والا كانت عبثا وقد وجد القبط فرصة في هذه الأيام لطلب كان قد سبق لهم فلم يجب فطلبوه فأجيب الآن، وهو إن تعلم الديانة النصرانية في هذه المدارس أيضا. وقد عدت

اجابتهم الى هذا الطلب غريبة اذ لا يهد تعليم دينين في مدارس حكومة من حكومات الأرض بل لا تسمح حكومة أروية ان يعلم في مدارسها مذهب من مذاهب الديانة المشتركة بين أهل المملكة غير مذهب الحكومة أعني ان حكومه انكلترا التي تدبى بمذهب البروتستانت لا تسمح لرعيتهما الكاثوليك ان يعلموا مذهبهم في مدارسها وجم المسلمون لهذا العمل وكثر كلامهم فيه ولو خاضت الحرائد فيه لكان هو الشغل الشاغل لقطر كله ولكنها سكنت لما نعلم وبعلم سائر العقلاء العارفين بالمأزق التي وضعت فيه نفسها . وقد سألتني كثير من المتفكرين عن رأيي في ذلك وكان منهم بعض المدرسين في المدارس والازهر فقلت ما حاصله : ان المسألة وجها دينيا ووجها سياسيا فهي من الوجه الديني نافعة للمسلمين لأن التعليم الديني في المدارس كان ناعما فهي توفقه أو كان ميتا فهي تنفخ فيه شيئا من روح الحياة . وأما من الجهة السياسية فهي ضارة بهم لأنها من أمارات كون الحكومة ليست إسلامية والذنب في هذا على أهل الشغب من المسلمين الذين أخذوا على أنفسهم مناصبة القوة المحتلة وإظهار المدوان لها ومحاولة اقناع الجمهور بذلك وبأن كل من يعمل معهم أو يعرفهم فهو عدو للوطن خائن للأمة . ومن العجائب ان هؤلاء المشاغبين قد ظلوا اسم الاسلام والمسلمين إذ مزجوه بكلامهم وأدخلوه في سياستهم الأفيئة حتى ظلوا المسمى لا بتعليم دين آخر في مدارس الحكومة فان هذا نافع له غير ضار به كما قلنا آنفا ولكن بما أحدثوا في نفوس الأروبيين من ان المسلمين يريدون الاجتماع باسم الاسلام لمقاومة سلطتهم في الشرق وهذا غير صحيح وإن نجح بما يدل عليه طلاب المال والجاه باسم الاسلام ومصر وقد رأينا يواجر ضرور سياستهم ونموذ بالله من أواخرها

ويظن بعض الناس ان تعليم النصرانية في المدارس ربما يكون مثارا لمتعصب الديني الجاهلي ونظن انه لا خوف من ذلك . ويظن بعضهم أن هذا يكون سببا لتترك التلاميذ من القبط لحضور دروس القرآن وحفظ ما يحفظ عادة منه وان ذلك يكون نقصا في اكتسابهم ملكة اللغة العربية وهذا مقول ولكن أكثرهم لا يتركون القرآن فيما أعلن